مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

مقاصد العقيدة وأثرها في بناء الإنسان عند إسماعيل الفاروقي

سعيد بدهان

مختبر قضايا التجديد في الدراسات الإسلامية والإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

البريد الإلكتروني: said20bodhan@gmail.com

Article history

Received: Apr 19, 2024 Accepted: May 15, 2024

الملخص:

دعا كثير من الباحثين في علم الكلام في الآونة الأخيرة إلى ضرورة ربط الحقائق الإيمانية التي ينبني عليها تعامل الفرد مع الوجود والكون بالغايات التي من أجلها تتحقق مصالح المجتمعات الإسلامية في الدنيا والآخرة، ولكي نصل إلى تلكم الغايات فلابد من إحياء النظر المقاصدي في العقائد الإسلامية؛ للوصول إلى الثمرة المرجوة، وعدم حصر العقيدة في تصورات مجردة عن الواقع الذي يعيشه المسلم في حياته. ومن الأسماء اللامعة التي تنبهت إلى هذه القضية الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي-رحمه الله تعالى-؛ إذ نجد له العديد من المؤلفات والمقالات التي تناول فيها الموضوع، إما بمؤلف خاص، أو بكلام متناثر هنا وهناك.

وسيروم البحث بيان بعض جوانب تقصيد العقيدة في فكر الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، بناء، العقيدة، الفاروقي، مقاصد.

The Objectives of Faith and its Impact on Building Human According to Ismail Al-Farouqi

A B S T R A C T:

Many researchers in theology have recently called for the necessity of linking the truths of faith - upon which the individual's dealings with existence and the universe are based - with the goals for which the interests of Islamic societies are achieved in this world and the hereafter. In order to achieve those goals, it is necessary to revive the objective view in Islamic beliefs to reach the desired fruit, and not limit the doctrine to abstract perceptions of the reality that a Muslim experience in his life .One of the prominent names who directed attention to this issue is Dr. Ismail Raji Al-Farouqi - May Allah Almighty have mercy on him - We find many of his books and articles in which he dealt with the subject, either with a special author, or with words scattered here and there. Therefore, the research seeks to explain some aspects of the interpretation of faith in the thought of Dr. Ismail Al-Farouqi, May Allah Almighty have mercy on him.

Keywords: Man, Building, Belief, Al-Farouqi, Objectives.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

أما بعد؛ فقد دعا كثير من الباحثين في علم الكلام في الآونة الأخيرة إلى ضرورة ربط الحقائق الإيمانية –التي ينبني عليها تعامل الفرد مع الوجود والكون–بالغايات التي من أجلها تتحقق مصالح المجتمعات الإسلامية في الدنيا والآخرة، ولكي نصل إلى تلكم الغايات فلابد من إحياء النظر المقاصدي في العقائد الإسلامية؛ للوصول إلى الثمرة المرجوة، وعدم حصر العقيدة في تصورات مجردة عن الواقع الذي يعيشه المسلم في حياته.

ومن الأسماء اللامعة التي تنبهت إلى هذه القضية الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي–رحمه الله تعالى–؛ إذ نجد له العديد من المؤلفات والمقالات التي تناول فيها الموضوع، إما بمؤلف خاص، أو بكلام متناثر هنا وهناك.

مشكلة البحث:

وتكمن مشكلة البحث في أن كتب الفاروقي احتوت على كثير من الحديث عن مقاصد العقيدة تحتاج من ينقب عنها ويجلّيها للباحثين في مجال العقيدة، ولا يخفى أن الفاروقي تناول عرض مضـــامين التوحيد وأثرها على الفكر والحياة إلى جانب كتاب أطلس الحضارة الإسلامية، وقد بث فيهما مقاصد العقيدة إلا أن هذا الجانب لم ينل العناية اللائقة؛ لهذا فإن هذا البحث يروم الإجابة عن الإشكال الآتي:

ما هي جهود الفاروقي في مقاصد العقيدة؟ وما مدى أثرها في بناء الإنسان؟

أهدافه:

يهدف البحث إلي:

-التعريف بالدكتور إسماعيل الفاروقي وتراثه الفكري.

-بيان مقاصد العقيدة عند الفاروقي وأثرها في بناء الإنسان.

منهج البحث:

زاوجت بين المنهجين الوصفي والتحليلي لمضمون مقاصد العقيدة في بناء الإنسان عند الفاروقي.

محاور البحث:

-**مقدمة:** تعريف موجز بالدكتور إسماعيل الفاروقي، مع ذكر مشكلة البحث وأهدافه.

-**المبحث الأول:** مقاصد العقيدة وأثرها في بناء الأفراد.

المبحث الثاني: مقاصد العقيدة وأثرها في بناء المجتمع

خاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ترجمة موجزة لإسماعيل الفاروقي[1]:

الاسم والمولد: إسماعيل راجي الفاروقي من مواليد سنة 1921م مسقط رأسه في مدينة يافا الفلسطينية.

النشأة العلمية: نشأ الدكتور إسماعيل الفاروقي في أسرة محافظة، فقد كان أبوه قاضيا شرعيا إلا أن ذلك لم يمنعه أن يدخل ابنه في المدارس الحديثة لتلقى العلم؛ إذ درس إســـماعيل الفاروقي التعليم الابتدائي والثانوي في مدارس

(1). ينظر: الفاروقي، إسماعيل راجي، والفاروقي، لمياء، مقدمة ترجمة أطلس الحضارة الإسلامية،13، ترجمة عبد الواد لؤلؤة، -المملكة العربية السعودية- الرياض، ط مكتبة العبيكان، ط1 سنة 1419هـ-1998م، وما بعدها. الشنقيطي، محمد المختار، محرم 1432 هـــ/ ديسمبر 2010م، خيرة العقول في القرن العشرين، (مجلة الوعي الإسلامي، الكويت)، العدد 545، ،44. ملكاوي، فتحي حسن، سنة 1435هـ-2014م، إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر وآخرون،25، الأردن عمان، ط دار الفتح للدراسات والنشر، ط1 ،.

الدومينيكان الفرنسية، وتحصل على شهادة الثانوية سنة 1936م، ثم انتقل لدراسة الفلسفة في الجامعة الأمريكية (كلية الآداب والعلوم) ببيروت، وتخرج فيها عام 1941م، حيث حصـــل على الباكلوريوس في الفلســـفة، عقبها اشتغل ببعض الأعمال، وذلك أثناء الاحتلال البريطاني.

الأوضاع السياسية: عاش الفاروقي في فترة كان يسود فيها الاضطراب السياسي في بلاد فلسطين، إذ سقط الحكم العثماني في فلسطين، وقام مقامه الاحتلال البريطاني، وإثر هذا السقوط العثماني وفشل الحركة القومية العربية تم استصدار وعد بلفور الذي يقضي بتقديم أرض فلسطين للصهاينة المحتلين وجعلها وطنا قوميا لليهود كما قرر مؤتمر سان ريمون سنة 1920م[2].

متابعة الدراسة: أجاب الفاروقي نداء الوطن وشارك في مقاومة المحتل، وبعد سقوط فلسطين غادر إلى أمريكا واستكمل دراسته هناك، فأخذ الماجستير في الفلسفة، ثم الدكتوراه من جامعة إنديانا سنة 1952م، وكان عنوان أطروحته: "تبرير الخير: الجوانب الميتافيزيقية والإبستمولوجية للقيم"

حصـــول الفاروقي على درجة الدكتوراة في ذلك الوقت يخول له العمل في أكبر الجامعات في الولايات المتحدة إلا أن نهمه الفكري دفعه إلى مواصلة التزود من الثقافة والمعرفة، فقد سافر إلى مصر ودرس في الأزهر أربع سنوات من ســـنة 1954م إلى 1958، والذي يظهر أن الفاروقي أراد أن تكون له حصـــيلة علمية متكاملة في المعرفة الدينية، وبعدها سافر إلى عدة بلدان، وانتهى به المطاف في الولايات المتحدة الأمريكية.

التدريس والانتاجات الفكرية:

كان للفاروقي أثر وحضور قوي في الجامعات والمؤسسات الفكرية والثقافية في مختلف البلدان درّس في جامعة ماكجيل بكندا ، ودرّس في جامعة شيكاغو بأمريكا وفي جامعة سيراكيوز، ساهم في تأسيس معهد الحوث الإسلامية بكراتشي–باكستان–،كما شارك في تأسيس جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين في أمريكا، وكان رئيسا لها، و لأجل وضع خطة إصلاحية تكون منارا للمسلمين وغيرهم كرس حياته لنشر روح الإسلام، وساهم في بلورة الفكر الإسلامي في قالب يمكن تطبيقه على أرض الواقع، وكان هو صاحب فكرة: إسلامية المعرفة، وأنشأ مع مجموعة من أصدقائه المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 1981م.

مؤلفاته: للفاروقي مجموعة من المؤلفات تخدم المشروع الذي يرنوا إليه فمن مؤلفاته:

–أطلس الحارة الإسلامية.

–الأطلس التاريخي للأديان.

(2). ينظر: عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، ط مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد –مصر– تاريخ فلسطين ،261. شوفاني، إلياس، سنة 1996م، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي،354، بيروت لبنان، ط مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1 .

-الملل اليهودية المعاصرة.

-الأخلاق المسيحية.

-الإسلام ومشكلة إسرائيل.

- التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة.

وغيرها من المؤلفات بعضـــها كتب بالإنجليزية، وقد ترجم قســـط منها مؤخرا إلى العربية، وبعض الكتب ترجمها الفاروقي من العربية إلى الإنجليزية، وله العديد من المقالات.

وفاته: عاش الفاروقي حياة الغربة مهاجرا من وطنه مظلوما، ولم يتركه ظالموه فقد امتدت إليه يد الغدر والاغتيال، حيث قُتِل هو وزوجته الدكتوره لمياء الفاروقي طعنا بالسكين، وذلك في الشهر الفضيل ليلة 18 رمضان 1406هـ الموافق ل 27 مايو 1986م رحمة الله تعالى عليهما.

المبحث الأول: مقاصد العقيدة وأثرها في بناء الأفراد.

إن العقائد ليست مجرد تصورات يحملها المسلم في عقله دون أن يكون لها رصيد فعال في الواقع تدفعه ليتفاعل مع الزمان والمكان، ويتسنم من خلالها ذرا الصـلاح، كلا إن العقيدة الصـحيحة هي التي تبعث اليقين في نفس حاملها، فتجعله فردا في المجتمع يقوم بما تملي عليه عقيدته، فتصنع منه نموذجا في البذل والتضـحية، وهذا هو السر الذي سبقنا به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم ما سبقونا بكثرة صلاة أو عبادة فحسب، بل سبقونا بما وقر في القلب وصدقه العمل، لأجل الوصـول إلى هذه الغاية كان لزاما علينا النظر مليا في المقاصـد العقدية التي تثمر النتائج، وقد اخترنا بعضـــا من هذه المقاصـــد التي كان يدندن بها الفاروقي في كتابته وهي كالآتي:

1. مقصد تغيير ما بالنفس.

إن أي إصلاح يرجى تحققه ونجاحه يبدأ أولا من الأفراد ثم ينتقل إلى الجماعات، وهذه من السنن الكونية والمقاصد العقدية التي نبهنا الله تعالى عليها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِـــهِمْ﴾ [الرعد:11] فالتغيير يكون من الداخل لا من الخارج، لابد من إرادة وعزيمة يتلوها فعل يتحقق في الخارج ، ويوضـح لنا الفاروقي هذه الخطوات بشـكل مبسـط فيقول: "والإنسـان بوصـفه صـاحب الفعل الأخلاقي، يجب أن يكون قادرا على تغيير نفسه لكي يحقق النسق، أو الأمر الإلهي، في نفسه كما في تلك جميعا، والإنسان بوصفه هدف الفعل الأخلاقي، يجب أن يكون هو وأقرانه ومحيطه قادرين على تلقي الفعل المؤثر للإنسان بوصفه فاعلا، وهذه القدرة هي عكس قدرة الإنسان الأخلاقية على الفعل، حيث يكون الإنسان فاعلا.

وبغير ذلك تصبح قدرة الإنسان على الفعل الأخلاقي مستحيلة، وتنهار الطبيعة الغائية في الكون...ولكي يكون للخليقة غاية-وهذا افتراض ضـروري لدى القول: إن الله هو الله، وإن عمله ليس عبثا-يجب أن تكون الخليقة

مطواعة، قابلة للتحول وقادرة على تغيير جوهرها وبنيتها وأحوالها وعلاقاتها لكي تجسد النسق أو الهدف الإنساني أو تجعله ملموسا."[3] ويربط الفاروقي هذا التحول والتغيير بالشعور بالمحاسبة والمسؤولية؛ وأنه ثمة ثواب وعقاب ينتظره يوم القيامة، وأن فعله سيسأل عنه، والاحساس بذلك وإيقانه في النفس يؤدي إلي صلاح الفرد، وبدونه ينتج فساده، وقد أولى القرآن الكريم لهذا المعنى اهتماما كبيرا؛ إذ نجد كثيرا من الآيات القرآنية تقرن بين عمل الإنسان في الدنيا والمحاسبة عليه يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30]

وقد جعل الفاروقي مبدأ تغيير ما بالنفس سنة إلهية لا تعرف التبديل ولا التغيير، بل هي القانون الحاكم لتاريخ الإنسان على الأرض:" وتطبيق هذه السنة الكونية على الأمة الإسلامية، هو مفتاح تفسير استمرار علتها، وباب معرفة السر في فشل كل محاولات الإصلاح التي جربتها حتى الآن."[4]

وللوصول إلى الهدف المنشود –بناء الإنسان الصالح– يرى الفاروقي أن الذي يُلزم الإنسان بالعمل الصالح هو التوحيد يقول:" يُلزم التوحيد الإنسان بأخلاقية للعمل، أي بأخلاقية يقاس في ظلها الاستحقاق أو عدم الاستحقاق بدرجة النجاح التي يحققها الفاعل الأخلاقي في تغيير مسار المكان والزمان بالنسبة لنفسه، ولمن حوله...وترتيبا على ما سلف، يتوقع الإسلام من الملتزم، أن يتدخل في سير الزمان والمكان، فلا مناص أمام المسلم بعد أن يشهد بعبوديته لله وحده ويكرس نفسه وحياته وكل طاقته لعبادته ويسلم بوجوب تفعيل الإرادة الإلهية في هذه الحياة الدنيا بزمانها ومكانها، من أن يدخل في حومة العمل والتاريخ ليحدث التحول المرغوب في ساحتهما."[5]

فالمحرك الأساس للإنسان نحو الفضيلة والأعمال الصالحة هو ذلك الشعور الإيماني الذي يدفعه لتنفيذ أوامر ربه والخضوع له والاستسلام لما جاء به، وخلو النفس من هذا الشعور وتلك الإرادة الخاضعة يؤدى حتما إلى الخلل في النظام الأخلاقي للإنسان، وهذا التخلف الذي تعرفه الأمة الإسلامية عن القيادة في العصور المتأخرة كان نتاج ذلك الانفصام النكد بين الفقه الأكبر والفقه الأصغر بين الاعتقادات والمعاملات، بعكس القرون التي كانت الحضارة الاسلامية يشع منها النور فتهتدى بها الأمم.

والخطأ في اختيار البوصلة الصحيحة التي تؤدي الأمة الإسلامية إلى بر الأمان يكون ثمنه ضياع هذه الأمة، ويجلى لنا الفاروقي تلك التجارب الخاطئة وقد عايش بعضا منها فيقول: "أما مساعي الإصلاح التي قامت بها حكومات الدول القومية في العالم الإسلامي، سواء كانت ملكية أم جمهورية، دكتاتورية أم دستورية، في عصر ما يسمى: ما بعد الاستعمار التقليدي، فكانت في معظمها بمنزلة بناء صروح على رمال.

ذلك أن قبلة دعاة تلك المحاولات الإصلاحية، حتى المخلصين منهم، انصبت على المتطلبات المادية للأمة، وتغافلت عن احتياجاتها الروحية مع أنها هي الأهم.

(3). الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية،133

(4). الفاروقي، إسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، 33–34، ترجمة السيد عمر، ط مدارات للأبحاث والنشر–جمهورية مصر العربية القاهرة–سنة2014م،

(5). الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة ،87

وكانت النتيجة أن تلك الحركات زادت المجتمع الإســـلامي خبالا، بانطلاقها من مدخل القومية التى هي فيروس غربي حقير، يعيد الشـــعوبية[6] القديم إلى جســـد الأمة، الذي عانت منه الأمة وتصـــدت له على مدى تاريخها الطويل."[7]

فالفاروقي يشـخص لنا في هذا المقطع كيف مُنِيَت الأمة بالفشـل لما حادت عن الطريق الصـحيح في بنائها بناء مستقيما لا اعوجاج فيه يقوم على أساس متين، والسبيل إلى ذلك يكون بزرع العقيدة الصـحيحة لإصـلاح الكيان النفسي الذي يؤدي بسعادة الإنسان أفرادا ومجتمعات.

"وإذا كانت العقيدة الدينية حين تحل في قلب امرئ تصـبح الموجه الوحيد لكل كيانه، فإنها تقدم لنا النموذج الأمثل للإنسان في هذه الحياة.

فعن طريقها نسـتطيع أن نجد الإنســان الذي تحرر من ســيطرة العبودية البشــرية، ورفض كل ألوان الرذائل التي تفرضـها هذه السيطرة على النفوس، وأخذ يسعى بإخلاص إلى تحقيق المثل العليا والقيم الصالحة التي تعود بالخير على البشرية جميعا...

كما أنه عن طريق العقيدة الدينية نستطيع أن نجد الشـهداء الذين يقابلون الموت بوجوه ضـاحكة ونفوس مستبشرة، ذلك أنهم علموا أن الإقدام على الموت لا ينقص من الأجل شيئا...

وعن طريق العقيدة الدينية كذلك نسـتطيع أن نجد الزاهدين الذين سُـلِبَت من قلوبهم رذيلة الطمع والشـره، واتسـموا بالبذل والسخاء، ذلك لأنهم اعتقدوا أن الرزق من الله، وليس نتيجة حرص حريص...

والعقيدة الدينية هي السبيل الوحيد لتحويل الإنسان إلى قوة إيجابية في الحياة؛ إذ تحول ضعفه إلى قوة، ويأسه إلى أمل، لأنها تربطه بالله جل جلاله حيث يجد الإنســان في رحابه طمأنينة القلب، واســتقرار النفس حين تشــتد عليه الخطوب."[8]

إذا من هنا نبدأ لتحويل مســارنا إلى الوجهة الصــحيحة بتغيير ما بالنفس من خلال زرع العقيدة وربطها بالعمل، وعدم ترك العقيدة لمجرد تصــورات عقلية اجتهادية، وجدال عقيم لا ينتج عنه أي مصــلحة للأفراد والمجتمعات، وهذا خروج عن مقاصد العقيدة التي جاء بها نبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

2. مقصد التحرر من العبودية لغير الله.

(6). الشعوبية وهم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، 509/1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م،

(7). الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، 34

(8). خفاجي، عماد، عمران، مصطفى، الموجز في عقيدة أهل السنة والجماعة،39-41، ط مجلس حكماء المسلمين-الإمارات العربية المتحدة-ط1 سنة 1440هـ-2019م،

إن دين الإسـلام جاء لينزع جميع الأغلال التي تجعل الإنسـان أن يكون عبدا لإنسـان آخر؛ لذا كانت دعوته إخراج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، فلا واسطة بين العبد وربه، وهذا مقصد من مقاصد العقيدة الإسلامية خالف فيها بعض الديانات الأخرى التي حرفت حين جعلت الرهبان والقساوسة أندادا لله تعالى كما قال تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

والفاروقي ينظر إلى هذا المقصد في التوحيد على أنه مقصد جديد جاءت به العقيدة الإسلامية الإسلام فيقول: "فالجديد الذي أتي به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله وتفرده، وإحياء المقاومة للوثنية، ولكل صور المؤسسات التقليدية الحائدة عن التوحيد الخالص في الوعي الديني.

ومن أجل تطهير الوعي الديني من الشرك على نحو لا رجعة فيه، أكد الإسلام على التزام الدقة البالغة في استعمال المفردات اللغوية على نحو يليق بالمدركات المتعلقة بذات إلهية متفردة منقطعة النظير، أو حتى شبه النظير.

وبين الله تعالى أنه هو سبحانه: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

وأمر نبيه والبشرية معه أن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص:1-4] وهكذا تخلصت مفردات اللغة الدالة على الذات الإلهية من كلمات: الأب، والابن، والمخلص، والشفعاء، وما شاكلها، والتأكيد التام على التفرد والتجاوز المطلق المفارق للذات الإلهية عن كل ما عداه بالكون، على نحو لا يستطيع معه أي إنسان أن يدعى علاقة مع الله ينفرد بها دون من عداه من البشر.

وقرر الإسلام أن كل البشر والمخلوقات سواسية أمام الخالق سبحانه، وأن لا إنسان ولا مخلوق أقرب بذاته، ولا بعلمه، إلى الله تعالى من غيره من نوعه، ولو بمثقال ذرة، من حيث المبدأ فكل ما بالكون مخلوق يقف على الخط الفارق بين الطبيعي وبين المتعالي، بحكم المبدأ الأولي المتمثل في كون الله تعالى هو المتفرد بموضع القيمة العليا، وإليه المنتهى."[9]

فكل الممارسات الخاطئة في العبودية التي تخالف هذا المقصد العقدي فهي تمثل خروجا عن روح الدين الإسلامي وصفائه، فالذين يتخذون وسائط في العبادة للوصول إلى الله تعالى حادوا عن طريق الحق؛ لأن الله تعالى لما طلب منا عبادته لم يطلب اصطحاب الآخرين أو تقديمهم بين يدي عبادته، وإنما الواجب أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

فعندما يركن العبد إلى غير مولاه ويتكل على الأسباب الواهية في قضاء حوائجه ويرجو ويخاف غير الله تعالى فهذا يقدح في توحيده، والقرآن الكريم قد أوضح جوهر التوحيد إيضاحا لا يحتاج إلى مزيد بيان فعندما يسمع المسلم قول الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(9). الفاروقي، إسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة،44-45

صَادِقِينَ﴾[الأعراف: 194] وقوله تعالى:﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72] وغيرها من الآيات التي تبدد أوهام المشركين وتوضح حقائق الدين.

"فللمؤمن قبلة واحدة يوليها وجهه، ويهب لها فؤاده، ويبث نجواه وشكواه، ويعرف على شعتها طريقه في ظلمات الحياة.

وله عواطف تجيش بالأمن والقلق، والسخط والرضا، والحب والبغض والوحشة والأنس.

ومهما اضطربت في نفسه هذه المشاعر المعتادة، فإن ضوابط اليقين تحكمها، وعرفانه بربه هو الذي ينقضها أو يبرمها...

وإذا رأيت المرء يحب غير الله أكثر مما يحب الله، ويخاف العبد أكثر مما يخاف الرب، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويصدر عمله ابتغاء رضاهم أكثر مما يطلب ثواب الآخرة، فإذا نزلت به نكبة كان تفكيره في فلان قبل تفكيره في الله، وإذا أصابه خير كان حمده لفلان أسبق من شكره لله فاعلم أن هذا الشخص قد أشرك، ولئن كان بعض العلماء يقول: إن الشرك في العمل غير الشرك في الاعتقاد، وإن هذا شرك أصغر وذاك شرك أكبر.

الحقيقة أن المسألة أصعب مما يتصورون وذاك شرك أكبر.

فالشرك عين حمئة قذرة، إذا انفجرت في قلب وبدأت تسيل قطرات راشحة توشك أن تتحول سيلا كاسحا، ويومئذ لا يبقى في قلب إيمان حق، ويتحول ما يسمونه شركا أصغر إلى عين الشرك الذي يعده الإسلام أقبح الكبائر."[10]

لذا كان لزاما على المسلم أن يتحرر من العبودية لغير الله، لكي يتحقق التوحيد في قلبه، ويصل إلى الغاية والمقصد الأسمى من العقيدة التي جاء بها الإسلام، وهذا هو زبدة التوحيد وجوهره عند الفاروقي، ولب الإسلام وقلبه، وأساسه وسقفه.

وهناك تصور ثنائي –ركز عليه الفاروقي– لتحقيق مبدأ تحرر العبد من ربقة العبودية لغير الله ينبغي أن يستوعبه المسلم أثناء نطقه بالشهادة التي تجمع بين شيئين النفي والاثبات: الإله ولا إله، خالق ومخلوقات. فيقول: "أما نظام الإله فهو قاصر على الله سبحانه وتعالى وحده. فهو وحده الرب السرمدي، الذي لا بداية له ولانهاية، وهو الخالق المتعالى، المتفرد على الدوام...

ونظام الخالق مغاير تماما وبشكل مطلق لنظام المخلوقات، من حيث الكينونة، والكنه، ومن حيث الوجود والوظيفة، ومن المستحيل على الاطلاق أن ينصهر أحد هذين النظامين في الآخر، أو يحل فيه أو يختلط به أو

(10). الغزالي، محمد، عقيدة المسلم محمد الغزالي،62–63. ط دار القلم–دمشق سوريا–ط 11 سنة 1421هـ–2000م،

أن يتحد بالآخر، فمن المحال أن يتحول الخالق إلى مخلوق، أو أن يتسامى ليصير ويتجلى في صورة الخالق بأي منطق، ولا بأي شكل كان."[11]

وفي هذا رد على المقولات التي تقدس البشـر فتجعل منهم آلهة أو نصـف آلهة، ومن ثم يصـير الإنسـان يدين بالعبودية لغير الله فيتوزع ولاؤه بين الله وبين الأنداد والشـركاء كما قال تعالى: ﴿ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُـرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29].

والغلو في الصـالحين من الأولياء وعباد الله المتقين طريق قد يسـتغله إبليس لجعل الناس يقدسـونهم، وقد يتعدى ذلك إلى عبادتهم واتخاذهم شـركاء مع الله تعالى في الألوهية والربوبية؛ لذا قيل: إن من أوسـع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، مما قد يتسبب ذلك في انحراف عقيدة البشر روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]"وهي أسماء رجال صـالحين من قوم نوح عليه السـلام، فلما هلكوا أوحى الشـيطان إلى قومهم أن انصـبوا إلى مجالسـهم التي كانوا يجلسـون فيها أنصـابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[12].

وخلاصة القول في هذا المبحث أن نقول: إن بناء الانسان باعتباره فردا من أفراد المجتمع لا يتحقق إلا بهذين القصدين إصلاح ما بالنفس، وإفراد العبودية لله تعالى.

المبحث الثاني: مقاصد العقيدة وأثرها في بناء المجتمع.

إن احتكاك المسلم بمجتمعه أمر ضروري، ذلك لأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو دائم محتاج لبني جنسه لاستكمال ما ينقصه من حاجات، ولا تنتظم حياته إذا عاش منفردا[13]، إلا أن المسلم صاحب العقيدة تحثه عقيدته على التخلق بالأخلاق الإنسانية الرفيعة والقيم الفاضلة مع مجتمعه الذي يعيش في كنفه، وتدعوه إلى بناء حضارة إسلامية يضرب بها المثل بين الحضارات، وقوام مكونات الأخلاق الإنسانية والحضارة الإسلامية في رأي الفاروقي يكون بالإيمان والعمل الصالح، لذا فالعقيدة الصحيحة المتمكنة في قلب المسلم يكون من مقاصدها وآثارها وغايتها ما يأتي:

1. بناء الإنسان أخلاقيا: عقد الفاروقي فصلا كاملا في كتابه: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، تحدث فيه عن الأخلاق، وأنها محور مهم في حياة الإنسان بل هل الغاية النهائية للوجود الإنساني، ولأجل تحقيق هذه الغاية أنعم الله على الانسان بالحواس والعقل والفهم، وأكرمه بالنفخ فيه من روحه يقول:" وما كان الكون ذاته ليكون على ما هو عليه، دون ذلك الشـق السـامي من الإرادة الإلهية، الذي هو محل السـعي الإنسـاني الأخلاقي، ولا يوجد مخلوق آخر في الكون يمكنه القيام عوضا عن الإنسان بتلك المهمة.

(11). الفاروقي، إسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة،52-53.

(12). ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،248/8، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـ.

(13). ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم من ذوي الشـأن الأكبر،594/1. ، المحقق: خليل شحادة، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م.

وإذا قيل إن الإنســان هو أكرم مخلوق، فإن ذلك يرجع بالقطع إلى تفرده بتلك المهمة، بمعنى كونه بفعله وسـعيه الأخلاقيين يمثل جسـرا كونيا وحيدا، يتم منه إدخال الشـق الأخلاقي من الإرادة الإلهية، الأسـمى من شـقَّيها التكوينيين الأوَّلي والنفعي، وإلى عالم المكان والزمان، وتصييره تاريخا."[14]

والفاروقي حينما تحدث عن هذا المقصـد الأسـمى–الأخلاق– للعقيدة الإسـلامية عمل مقارنة بين عقيدة الإسـلام وغيرها من الفلسفات والرؤى الدينية المختلفة التي يتبناها الغرب وتوصل إلى نتيجة مفادها: أن هناك فرقا شاسعا وبونا واسعا بين الإسلام وما قابله من الفلسفات والرؤى، وقد ضرب نماذج توضيحية لذلك، فالفلسفة الاغريقية تقوم "على نزعة طبيعية مبالغ فيها، أفضى بها إلى تأليه الإنسان، بل لتأليه رذائله.

وهذا هو السر في أن الإغريقي لم يجد غضاضة في تصوير الآلهة ككائنات يخدع كل منها الآخر ويتآمر ضده، ولا تتورع عن الزنا والسرقة وسفاح أولى القربى، والعدوان، والغيرة، والانتقام، وما شاكل ذلك من الأفعال الوحشية...

ومن جهة أخرى، ركزت المسيحية في سنواتها التكوينية الأولى، على الرد على هذه الفلسفات الإنسانية الإغريقية الرومانية، ووصـلت في تفنيدها إلى نهاية الطرف المضـاد بالحط من قدر الإنسـان بدعوى الخطيئة الأصـلية، واعتبرته كائنا هابطا.

وكان النزول بمكانة الإنسان إلى درك حالة الخطيئة الأصلية الكونية المطلقة الفطرية الحتمية، التي يستحيل على أي إنسان تخليص نفسه منها بجهده الشخصي، هو الشرط المنطقي المسبق للقول بتجسيد الإله، وتألمه، وموته تكفيرا عن خطئية الإنسـان، وبتعبير آخر، اسـتلزم القول باحتياج الخطيئة الإنسـانية إلى فعل إلهي، إلى أن تكون بمنزلة مأزق مطلق، يسـتحيل على غير الله تخليص الإنسـان منها، وهكذا تم إضـفاء طابع مطلق على الخطيئة الإنسانية لتصير مستحقة لموت الإله على الصليب."[15] وقد استرسل الفاروقي في ضرب الأمثلة من الهندوسية والبوذية، وأن هذه الرؤى والمبادئ التي قامت عليها تلكم الملل لم تنجح في بناء الانســان أخلاقيا، بينما نجد الإسـلام يسـتحيل الفصـل فيه بين الأخلاق والدين، ولا يوجد في الإسـلام الثنائية بين الكنيسـة والدولة، والديني والعلماني،[16]فبناء الانســان في المنظور الإســلامي مرهون بتفعيل عقيدة الإيمان على أرض الواقع بالأخلاق الحسنة، وتأثيرها في إعمار الحياة الدنيا لتحصيل السعادة الدنيوية والأخروية، وهذا التلازم بين العقيدة وأثرها في الحياة الطيبة تحدث عنه القرآن الكريم في غير ما موضع، ففي سورة البقرة قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْـطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة: 126] ، وتفيد الآية: أن "الجدير بالرزق الإلهي: من آمن بالله واليوم الآخر، وأطاع ربه، واستقام على أوامر الله، واجتنب ما نهى الله عنه."[17]

(14). الفاروقي، اسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، 126

(15). السابق نفسه،127–128

(16). ينظر السابق نفسه،129.

(17). الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،306/1، ط دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة، الثانية، 1418 هـ،

فالسعادة الحقيقية والحياة الطيبة تكون لمن آمن وسعى في الخيرات وعمل الصالحات.

الإنسان المخلوق الوحيد المكلف بتفعيل الأخلاق:

يرى الفاروقي أن الإنسان ميزه الله بميزة عن سائر المخلوقات وهي تكليفه بتفعيل القيم الفاضلة والأخلاق الحسنة، ولا يكفي في ذلك مجرد استبطان النية في تنزيل الأخلاق على أرض الواقع، بل لابد من ربطها بالتفعيل، يقول: "فإن الإســـلام لم يقف عند حد عقد النية، بل ربط الأخلاقية بالقيام بالعمل بالفعل. فبعد أن بين أن لا قوام لأخلاقية أي فعل مالم يكن مبنيا على نية صالحة، أرشد الإنسان على طول الطريق من النية إلى الفعل، من عالم الوعي الشخصي بالزمان والمكان، إلى حومل العمل ومعترك صنع التاريخ، فالقيم أ الإرادة الإلهية لا تقف عند حد امتلاك الانسان النية الصالحة تجاهها، بل يتعين على الانسان تجسيدها في أرض الواقع.

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله لتفعيل تلك القيم وتلك الإرادة بحرية، لوجه الله تعالى، ويتعين عليه من ثم أن يحرك الموجودات، ويعيد تشكيل الطبيعة، ليجسد فيها وبها البعد الأخلاقي، وفق المثال الرباني الذي عرفه بالوحي الإلهي المنزل، وهو مكلف بإخراج الموجودات من حيز الكون إلى حيز البروز والتحقق، وبقدر نجاحه في هذه المهمة تقاس درجة فلاحه وسعادته الأخلاقية."[18]

إذا فمبدأ الإسلام في الأخلاق يوجب تكليف الإنسان بالعمل بهذه الأخلاق، ويستند في الزاميتها على أساس إيمانه بالله تعالى، وأنه مسؤول على تحقيق العدالة ومنع الفوضى والفساد، لأجل ذلك أمده الله تعالى بإحساس يفرق به بين الخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾ [الشمس:7-10]

"ففي الإنسان إذن قوة باطنة، لا تقتصر على نصحه، وهدايته وحسب، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن يفعل، أو لا يفعل.

فماذا تكون تلك السلطة الخاصة، التي تدعي السيطرة على قدراتنا الدنيا، إن لم تكن ذلك الجانب الوضيء من النفس، والذي هو العقل؟ ذلكم أيضًا هو ما عبر عنه القرآن بألفاظه الخاصة، حين صور حال الكافرين بين أمرين، فقال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور: 32] فها هو ذا مبدأ الطرف الثالث المستبعد من الأخلاق قد استبان ووضح، إذ ليس وراء أمر العقل وقيادته قاعدة أخرى -سائغة- للسلوك، فهو وحده إذن السلطة الشرعية."[19]

2. بناء الانسان حضاريا:

تقوم الحضارة الإسلامية على أسس تراعي حاجيات الإنسان وتطوره، إذ هي في مفهوم المسلمين "تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية،

(18). الفاروقي، إسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة،143

(19). دراز، محمد بن عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن،27-28، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة 1418هـ / 1998م،

والفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العِلمية والعَمَلية"[20]، والتوحيد يمثل جوهر الحضـــارة الاســـلامية عند الفاروقي لأنه يعتبر المبدأ الرئيس الذي تجتمع عليه الأمة الإســـلامية بمختلف أعراقها وأطيافها عربها وعجمها أبيضـها وأسـودها، فلندع الفاروقي يشـرح لنا جوهرية التوحيد في الحضـارة الإسـلامية، وما هي مقاصـده في بناء الحضـارة يقول: "والتوحيد هو ذلك المبدأ الذي يمنح الحضـارة الإسـلامية هويتها، ويربط جميع مكوناتها معا ليجعل منها كيانا عضويا متكاملا نسميه حضارة، وفي ربط العناصر المتفرقة معا، يقوم جوهر الحضارة–وهو التوحيد في هذه الحال–بطبع تلك العناصر بطابعه الخاص، ثم يعيد تكوينها بشكل يتناسق مع العناصر الأخرى ويدعمها، ولا يقوم ضرورة بتغيير طبيعة تلك العناصر، بل يحولها ليصنع منها حضارة ويعطيها صفاتها الجديدة التي تكون تلك الحضارة، ويختلف مدى تحول بين ضئيل وجذري، اعتمادا على مدى علاقة الجوهر بالعناصر المختلفة ووظائفها، وقد برزت هذه العلاقة في أذهان المســـلمين الذين كانوا يتابعون ظواهر الحضـــارة؛ لذلك اتخذوا التوحيد عنوانا لأبحاثهم، وأدخلوا جميع الموضوعات الأخرى تحت لوائه.

وقد عدوا التوحيد أهم المبادئ الأســاس التي تضــم أو تحكم جميع المبادئ الأخرى؛ كما وجدوا فيه المنبع الرئيس والمصـدر البدئي الذي يحكم جميع الظواهر في الحضـارة الإسـلامية."[21] ثم تناول الفاروقي بالتفصـيل الحديث عن التوحيد وما الذي يعنيه عند المسلمين قاطبة.

وإذا كان التوحيد يعد جوهرا مهما في بناء الحضـــارة الإســـلامية فماهي آليات توظيفه، يحدد لنا الفاروقي ذلك في عنصرين اثنين:

– الأول المنهج:" ويشمل هذا الجانب ثلاثة أسس، هي الوحدة والعقلانية والتسامح...

الوحدة: لا توجد حضـارة بلا وحدة، فما لم تكن العناصـر التي تشـكل حضـارة ما متحدة، متناسـجة، متناسـقة مع بعض، فإنها لا تشـكل حضـارة بل خليطا متراكما فمن الضـروري وجود مبدأ يوحد العناصـر المختلفة ويكتنفها في إطاره...ولكن مما يشين أية حضـارة أن تكون قد جمعت عناصـر أجنبية، وحسب؛ وأن تكون قد فعلت ذلك بشكل متنافر، ومن دون إعادة تشـكيل أو اسـتيعاب أو تمثل، وفي هذه الحال ، لا تزيد تلك العناصـر عن أن تتواجد مع تلك الحضـارة ولا تنتمي إليها عضـويا، ولكن أن نجحت الحضـارة في تحويل تلك العناصـر وتمثلها في نظامها، فإن عملية التمثل هذه تغدو دليلا على حيويتها وحركتيها وإبداها، ففي أي حضـارة متكاملة، وفي الإسـلام توكيدا، تكون جميع العناصـر المكونة، مادية كانت أم بنيوية أم علائقية منضـوية تحت مبدأ أعلى واحد، وفي الحضـارة الإســـلامية يكون التوحيد هو ذاك المبدأ الأعلى وهو المقياس للمســـلم ودليله ومعياره في مواجهة الديانات والحضـارات الأخرى، وفي التعامل مع الحقائق والأوضـاع الجديدة، فما يتفق مع ذلك المبدأ يتم قبوله وتمثله، وما لا يتفق يتم رفضه وإدانته."[22]

(20). حبنكة، عبد الرحمن، الحضارة الإسلامية ووسائلها، 31، ط دار القلم، دمشق سوريا–ط1سنة 1418هـ–1998م،

(21). الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية،131

(22). الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية،134 –135

وهذا الأساس–وحدة الأمة– الذي تحدث عنه الفاروقي في بناء الحضارة الإسلامية أولته الشريعة الإسلامية اهتماما بالغا، ومن مقاصد العقيدة الإسلامية جمع كلمة الأمة وهي غاية عظمى تتحقق بكلمة التوحيد؛ إذ جميع الروابط الأخرى تلغى ويبقى التوحيد هو الذي يحافظ على وحدة المجتمع المسلم، فقد جعل الإسلام حضارته قائمة عليه قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾[التوبة:23–24]

ويوضح لنا سيد قطب دلالة الآيتين فيقول: "إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكاً فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها. وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة، ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة.. كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة. فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومفرق الطريق هو أن تسيطر العقيدة، أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة، أو لعرض من أعراض هذه الأرض. فإذا اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة وبالزوج والعشيرة، ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن، ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطيبات من الرزق– في غير سرف ولا مخيلة– بل إن المتاع بها حينئذ لمستحب، باعتباره لوناً من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عباده، وهم يذكرون أنه الرازق المنعم الوهاب."[23]، ويبقى أساسان لهما ارتباط بهذا المقصد العقدي –الوحدة– ، ذكرهما الفاروقي سنلم بهما باختصار وهما:

العقلانية: والأساس الثاني الذي يشتمل عليه المنهج في الحضارة الإسلامية العقلانية، وهي إحدى مكونات الحضارة الإسلامية، ولا يعنى ذلك تقديم العقل على النقل، وإنما المقصود منها رفض أي تناقض يمكن أن يقوم بينهما.[24]

التسامح: أما المبدأ الثالث في منهج الحضارة الإسلامية –وهو التسامح– فيرى الفاروقي أن التسامح ينتج من دراسة أديان التوحيد،" فوراء تنوع الأديان يوجد الدين الحنيف، دين الله في البدء الذي فطر عليه جميع الناس قبل أن يتطبعوا بما يجعلهم أتباع ذاك الدين أو ذاك.

ويتطلب التسامح من المسلم أن يتجرد لدراسة تاريخ الأديان لكي يتبين في كل ديانة هبة الله الأولى، التي أرسل الله جميع رسله في كل مكان وزمان ليبلغوها."[25]

(23). قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1615/3، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: 17 – 1412 هـ،
(24). ينظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية،136
(25). المصدر السابق نفسه، 138

العنصر الثاني: المحتوى:

والعنصـــر الثاني في توظيف التوحيد لبناء الحضـــارة الإســـلامية، يرى الفاروقي أنه لابد من فهم التوحيد وتحليله وتنزيله ومن ثم فالفهم الواعي للتوحيد "يؤدي إلى إدراك أن جميع ما يحيط بنا من أشـــياء وأحداث، وكل ما يجري في الميادين الطبيعية والاجتماعية والنفسية هو من عمل الله، وتنفيذ لغاية من غاياته.

وعندما يتم هذا الادراك يغدو طبيعة ثانية للإنسان، لا تنفصل عنه طوال ساعات يقظته فيعيش المرء كل لحظات حياته في ظل هذا الإدراك."[26]

كما تناول الفاروقي كيفية تنزيل هذا المحتوى على أرض الواقع ممثلا بذلك بربط الأخلاق والقيم الفاضلة.

3. بناء الإنسان ثقافيا:

يرى الفاروقي أن جوهر الثقافة الإســـلامية يقوم على عمود التوحيد[27]، وهو صـــاحب مشـــروع أســـلمة المعرفة، وقد سعى جاهدا في كثير من مؤلفاته ومقالاته لتحقيق هذه الغاية ويعتبره مقصدا من مقاصد العقيدة، وقد أوعز تعرض الأمة الإسلامية للنكبات والهزيمة والإذلال بسبب انبطاح كثير من المسلمين للثقافة الغربية فأصبحوا عبيدا لها يوضح ذلك فيقول:" تقف الأمة الإسلامية اليوم في مؤخرة ركب الأمم، ولم يشهد هذا القرن أمة تعرضت لمثل ما تعرضـت له الأمة الإسـلامية من هزيمة وإذلال لقد هزم المسـلمون وقتلوا وسـلبت منهم أوطانهم وثرواتهم، بل وأرواحهم وآمالهم.

لقد خدعوا فاســتعمروا واســتغلوا؛ وفتنوا في عقيدتهم وأدخلوا بالقوة أو بالرشــوة في أديان أخرى، وقام أعداؤهم من الخارج مستعينين بعملائهم في الداخل فحولوهم إلى علمانيين أو عبيد للغرب وجردوهم من إسلامهم كل هذا حدث في كل دولة وكل ركن من العالم الإسـلامي."[28]، وقد تناول الحديث بالتفصـيل عن مكامن الضـعف والمرض في هذه الأمة؛ سياسيا واقتصـاديا ودينيا وثقافيا، وبين منبع الداء، ثم أعقب ذلك بالعلاج الذي ينبغي أن تبدأ به الأمة لكي تستفيق من وهدة الغفلة، ويقوم بناء ثقافة الأمة عبر المتطلبات الواجبة، وهي عبارة عن ثلاث مراحل:

1- ما أسماه بالواجب المطلوب: ويقصد بذلك حل مشكلة التعليم يقول في صدد شرحه لمعضلة التعليم في البلدان الاسلامية: "إن أعظم مهمة تواجه الأمة في القرن الخامس عشر الهجري هي حل مشكلة التعليم، وليس هناك أمل في بعث حقيقي للأمة مالم يتم تجديد النظام التعليمي وإصـــلاح أخطائه، والحق أن ما نحتاج إليه إنما هو إعادة تشـكيل النظام من جديد إن هذه الثنائية في التعليم الإســلامي وتقســيمه إلى نظامين إســلامي وعلماني يجب أن تزال ويقضـــى عليها إلي الأبد يجب أن يدمج النظامان ويتكاملا في نظام واحد وأن يشـبع بروح الإسـلام ليصـبح جزءا وظيفيا لا يتجزأ من برنامجه الفكري....إن على الأمة

(26). المصدر السابق نفسه،139

(27). ينظر: الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة،63

(28). الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل،21 (ترجمة عبد الوارث سعيد)، ط دار البحوث العلمية-الكويت-ط 1 سنة 1404هـ-1984م.

أن تنفق على التعليم أكثر بكثير مما تفعل اليوم، وذلك لتجتذب أفضل العقول ولتعينهم على أن يحافظوا على النعمة المنزلة التي أنعم الله تعالى عليهم بها إذ جعلهم أهل العلم أو طلابه."[29]، وقد أســـهب في شرح علاج قضية التعليم في البلاد الإسلامية وبنى رؤيته في إصلاح التعليم على الخطوات الآتية:

أ-توحيد نظامي التعليم ويقصـــد بذلك إدماج النظام الإســـلامي التعليمي[العتيق] مع النظام العلماني[الحديث] في المدارس العامة والجامعة، مع مراعاة التخلص من نقائص كل نظام ومن بين نقائصـــهما عدم ملائمة الكتب الدراسية القديمة ونقص كفاءة المدرسين في النظام التقليدي، والتشبه بالغرب العلماني في مناهجه ومثله في النظام العلماني.

ب-غرس الرؤية الإسـلامية فكل فرد من أفراد الدول الإسـلامية يحق له أن يتلقى تعليما دينيا كاملا: عقيدة وثقافة وأخلاقا وتشريعا وتاريخا.[30]

2-التصور المنهجي:

المرحلة الثانية من مراحل بناء الأمة ثقافيا في نظر الفاروقي يأتي من خلال تغير نمط التفكير الجامد عند الفقهاء، ويتم ذلك ببناء تصور منهجي جديد ينفتح على طبيعة فهمنا للأصول، ومصادر المعرفة الإسلامية، وقد ضرب على ذلك مثالا قد عاصره الفاروقي وهو الطرح الذي تبناه جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.[31]

3-خطة العمل

لم يغفل الفاروقي خطوات العمل لإدراك هذه الغاية، وهي بناء ثقافة المجتمع الإسلامي وهي حسب تصوره تكمن في:

أ-اتقان العلوم الحديثة.

ب-المسح الشامل لكل علم من العلوم انطلاقا من بيان نشأته وتطوره التاريخي واتساع ميدانه.

ج-التمكن من التراث الإسلامي.

د-إقامة العلاقة الخاصة بين الإسلام والعلوم الحديثة، وقد استفاض كعادته في شرح هذه الخطوات.[32]

والذي نلاحظه في طرح الفاروقي سواء كان من جهة التنظير والتأطير أو من جهة التطبيق والعمل ربطه الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية بالتوحيد والعقيدة، وقد شبه عقيدة التوحيد بالنور الذي يضيء كل شيء في حياة الإنسان وبدونه يعيش في ظلام الجهل والظلم يقول معبرا عن هذا المعنى:" خلاصة ما سبق أن الإيمان ليس

(29). المصدر السابق نفسه،37-38

(30). ينظر: الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، ص 38-41

(31). ينظر: السابق نفسه، ص51-61

(32). ينظر: السابق نفسه، ص 93

مجرد مقولة أخلاقية، بل هو في الحقيقة وفي المقام الأول مقولة معرفية. هو بتعريف آخر مفهوم مرتبط بالمعرفة وبصحة الأخبار التي يتأسس عليها، ولما كانت طبيعة محتواه الخبري مماثلة لطبيعة المبدأ الأول للمنطق والمعرفة، ولما وراء الطبيعة والأخلاق والجماليات، فإن فعله في المتعرض له يشبه فعل النور الذي يضيء له كل شيء."[33]

خاتمة:

بعد هذا العرض المختصـــر لمقاصـــد العقيدة وأثرها في بناس الإنســـان عند الدكتور الفاروقي رحمه الله تعالى نستخلص بعض النتائج من أهمها:

–يعد الفاروقي من أهم المفكرين الذين عنوا بالعقيدة ومقاصدها، ويكفي في ذلك ما بثه في كتابه التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، وكذا ما كتبه في أطلس الحضارة الإسلامية.

–اهتمامه بتفعيل مقاصد العقيدة في واقع الناس، وعدم تركها حبيسة التصورات المجردة.

–يرى الفاروقي أن الخطوة الأولى في الرقي بالإنســان وبناء مجتمع فاضــل ينبغي أن يكون من منطلق تحرره من العبودية لغير الله تعالى، فمادام الإنسان يخشى غير الله ويعمل لحساب البشر، ويسقط من حسبانه ما ينتظره من ثواب أو عقاب فذلك مظنة الخلل في عمله.

– إن الأخلاق في نظر الفاروقي محور مهم في حياة الإنســـان بل هي الغاية النهائية للوجود الإنســـاني، ولأجل تحقيق هذه الغاية أنعم الله عليه بالحواس والعقل والفهم، والإنســـان هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله لتفعيل تلك القيم وتلك الإرادة بحرية، لوجه الله تعالى، ويتعين عليه من ثم أن يحرك الموجودات، ويعيد تشكيل الطبيعة، ليجسد فيها وبها البعد الأخلاقي.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي الشـــأن الأكبر،594/1، المحقق: خليل شحادة، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،248/8، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

حبنكة، عبد الرحمن، الحضارة الإسلامية ووسائلها، 31، ط دار القلم، دمشق سوريا–ط1سنة 1418هـ–1998م.

(33). الفاروقي، إسماعيل، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة،98

خفاجي، عماد، عمران، مصـطفة، الموجز في عقيدة أهل السـنة والجماعة،39-41، ط مجلس حكماء المسـلمين-الإمارات العربية المتحدة-ط1 سنة 1440هـ-2019م

دراز، محمد بن عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن،27-28، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة 1418هـ / 1998م،

الزحيلي، وهبة بن مصـطفى، التفسـير المنير في العقيدة والشـريعة والمنهج،306/1، ط دار الفكر المعاصـر – دمشـق، الطبعة، الثانية، 1418 هـ

الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، 509/1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، ط مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد -مصر- تاريخ فلسطين ،261. ، إلياس شوفاني، سنة 1996م،الموجز في تاريخ فلسطين السياسي،354، بيروت لبنان،. ط مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1

الغزالي، محمد، عقيدة المسلم محمد الغزالي،62-63. ط دار القلم-دمشق سوريا-ط 11 سنة 1421هـ-2000م.

الفاروقي، إسـماعيل راجي، والفاروقي، لمياء، مقدمة ترجمة أطلس الحضـارة الإسـلامية، ترجمة عبد الواد لؤلؤة، -المملكة العربية السعودية- الرياض، ط مكتبة العبيكان، ط1 سنة 1419هـ-1998م،13 وما بعدها. الشنقيطي، محمد المختار، محرم 1432 هـ/ ديسمبر 2010م.

الفاروقي، إسـماعيل، أسـلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل،21 (ترجمة عبد الوارث سـعيد)، ط دار البحوث العلمية-الكويت-ط 1 سنة 1404هـ-1984م.

الفاروقي، إسـماعيل، التوحيد ومضـامينه على الفكر والحياة، 33-34، ترجمة السـيد عمر، ط مدارات للأبحاث والنشـر-جمهورية مصر العربية القاهرة-سنة2014م.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1615/3، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط: 17 - 1412 هـ.

ملكاوي، فتحي حسـن، سـنة 1435هـ-2014م، إسـماعيل الفاروقي وإسـهاماته في الإصـلاح الفكري الإسـلامي المعاصـر وآخرون،25، الأردن عمان، ط دار الفتح للدراسات والنشر ، ط1 ،.

المجلات:

خيرة العقول في القرن العشرين، (مجلة الوعي الإسلامي، الكويت)، العدد 545.